

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[456] وذهب البعض الى أنَّهُ الشخص الذي لا يكذب مطلقاً، بل وأسمى من ذلك، وهو أنَّهُ لا يملك القدرة على الكذب، لأنَّهُ اعتاد طيلة حياته على الصدق. ويرى آخرون أن معناها الشخص الذي يصدق عمله كلامه واعتقاده. إلّا أن من الواضح أن جميع هذه المعاني - تقريباً - ترجع إلّا معنى واحد. على كل حال، فإنَّ هذه الصفة مهمّة إلّا حدّ أنَّهُ ذكرت في الآية - محل البحث - قبل صفة النّبوّة، ولعلّها بذلك تكون ممهدة لتلقي النّبوّة، وإلّا تجاوزنا ذلك فإنَّ أبرز صفة يلزم وجودها في كل الانبياء وحملة الوحي الإلهي أن يوصلوا أوامر الله إلّا العباد دون زيادة أو نقصان. ثمَّ تتطرق الآية التي بعدها إلّا شرح محاورته مع أبيه آزر - والأب هنا إشارة إلّا العم، فإنَّ كلمة الأب، كما قلنا سابقاً، ترد أحياناً في لغة العرب بمعنى الأب، وأحياناً بمعنى العم(1) - فتقول: (إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً). إنّ هذا البيان القصير القاطع من أحسن أدلة نفي الشرك وعبادة الأوثان، لأنَّ أحد بواعث الإنسان في معرفة الرب هو باعث الربح والخسارة، والضر والنفع، والذي يعبر عنه علماء العقائد بمسألة (دفع الضر المحتمل). فهو يقول: لماذا تتجه إلّا معبود ليس عاجزاً عن حل مشكلة من مشاكلك وحسب، بل إنّك لا يملك أصلاً القدرة على السمع والبصر. وبتعبير آخر: إنّ العبادة يجب أن تكون لمن له القدرة على حل المشاكل، ويدرك عباده وحاجاتهم، سميع بصير، إلّا أنَّ هذه الأصنام فاقدة لكل ذلك. إنّ إبراهيم يبدأ في دعوته العامّة بأبيه، وذلك لأنَّ النفوذ في الأقربين أهم وأولى، كما أن نبي الإسلام(صلى الله عليه وآله وسلم) قد أمر أولاً بدعوة عشيرته الأقربين كما جاء في ذلك في الآية (214) من سورة الشعراء: (وأنذر عشيرتك الأقربين).

1 - لقد بحث هذا الموضوع مفصلاً ذيل الآية (74) من سورة

الأنعام.